أسلوب السياسة الاستعمارية الدموي في احتلال الغرب الجزائري

مجزرة أولاد سيدي منصور بتيارت 1864م أنموذجا

الدكتور: كمال صحراوي، جامعة تيارت، الجزائر

الملخص:

خلال عمليات التوسع الاستعماري الفرنسي باتجاه الجنوب الغربي الجزائري اصطدمت القوات الفرنسية بمقاومة شديدة عطلت مشروعها زمنًا طويلاً، ومنها مقاومة أولاد سيدي الشيخ التي اندرجت ضمنها مقاومة أولاد سيدي منصور بتيارت، حيث رفضوا ترك أراضيهم وساهموا في مقتل ثلاث فرنسيين بغصني، ولذلك قررت فرنسا الانتقام منهم فهاجمتهم على يد الجنرال مارتينو في سبتمبر 1864 وقتلت منهم (500) فارس شديد حسب روايات الفرنسيين وإحصاءاتهم، ورغم ذلك ظل النسيان يكتنف هذه القضية فقررنا البحث فيها وحصلنا على مجموعة من الوثائق الأرشيفية التي تميط اللثام عنها لعلّ الباحثين يهتمون بها.

Abstract:

During the extending operations of the French colonization towards the Algerian south-west the French forces confronted a hard resistance that stopped their project for a long time, and one of them was the resistance of " oulad sidi Cheikh " that included " oulad sidi Mansor " resistance in Tiaret, where they refused to leave their lands and contributed in killing three French at Ghosni, therefor General Martineau decided to attack them in September 1864 and killed 500 tough knights according to the French reports and statistics, even so this incident stays forgotten so we decided to look in it and we've got some archive documents that can encourage researchers to seek its truth.

مقدّمة:

ساهمت قبائل ناحية تيارت منذ عهد الأمير عبد القادر في تعطيل المشروع الفرنسي القاضي باحتلال الجنوب الغربي الجزائري، حيث شكلت قبائل الأحرار وأولاد خليف وأولاد سيدي منصور وغيرها السد المنيع الذي اعتمدت عليه مقاومة أولاد سيدي الشيخ فيما بعد. وفي هذا الإطار تندرج قضية مذبحة أولاد سيدي منصور التي راح ضحيتها 500 من الرجال الأشداء ونُقل الأطفال والنساء أسرى إلى مدينة تيارت وتم الاستيلاء على الممتلكات. وقد برز في هذه المجزرة الجنرال مارتينو[1]، والكولونيل بيشو [2].

وتناولت أخبارَها الصحافةُ الفرنسية آنذاك مشيدة بدورها في فتح أبواب الصحراء أمام الفرنسيين، وكَتَبَ حولها بعض العسكريين الفرنسيين. والغريب أننا رغم كل هذا لا نجد عند الباحثين الجزائريين شيئا كثيرا حول المجزرة رغم دمويتها ورغم أهميتها في فتح باب الصحراء أمام القوات الاستعمارية. وقد كان هذا النقص مشجعا لي لأبحث في الكتابات الفرنسية (ق 19) محاولا إماطة اللثام عن بعض الحقائق المرتبطة بها وأثرها في تسهيل التوغل نحو الجنوب الغربي.

قبل العملية:

في أعقاب قضية بوبراتر [3] ، سارت قبائل عديدة خلف أولاد سيدي الشيخ وقائدهم سى محمد بن حمزة كالمخادمة [4] والشعانبة [5] وكثير من قبائل الأحرار [6]، وكان يدعمه عمه سى الأعلى. وقد هاجم فرندة على رأس 2000 من أتباعه بداية من 12 جويلية 1864[7].

لكن أحمد ولد القاضي آغا فرندة جمع كثيرا من القبائل بما فيها بعض الأحرار ودافع عن الآغاليك.

وكان هذا الحاجز قد دعا سي محمد بن حمزة إلى المرور نحو واد سوسلم جهة جبل الناظور فساندته قبائل ووقفت ضده أخرى. ومثّل هذا التجاذب فرصة لقبائل الأحرار لتثور خصوصا وأن فرنسا ركزت عليها جهودها لتعزلها عن

المقاومة من خلال إفقارها، وهو ما يتضح جليا من خلال التقرير الذي ذكره Courrier de la Drôme et de l'Ardèche في عدده الصادر يوم 12 ماي 1864 متحدثا عن الاستعدادات الفرنسية لغزو جهة تيارت:

"من الجنرال Deligny إلى السيد الحاكم العام بالجزائر، في 05 ماي عام 1864 على الساعة الواحدة والنصف زوالا:

لقد كان انضمامنا بالأمس أنا والجنرال مارتينو بالقطيفة حيث نحن اليوم، وغدا سنفترق؛ هو يتوجه نحو فرندة ومن هناك إلى تيارت. وأنا سأتقدم نحو الأمام وأترك له بعض التوصيات المتعلقة بدوره: أن يمنع بالقوة حركة قبائل اليعقوبية وزدامة وتل تيارت، وأن يأكل شعير الأحرار (manger les orges des Harars)ويفرغ مطاميرهم ويراقب التموين بفرندة وتيارت، وأن يستعد ليبعث إليّ قبل 25 من هذا الشهر 50000 وجبة إلى خنق الصوف حيث سأكون يوم 07، وأن يتصل أخيرا بالجنرال Liebert".

وكان أولاد خليف بما فيهم أولاد سيدى منصور [8]. قد عانوا من السياسة الاستعمارية "فعندما سيطر الفرنسيون على تيارت أول مرة فر أولاد خليف نحو الجنوب مفضلين ترك أراضيهم على الخضوع للعدو، وحين أعلن الأمير عبد القادر ثورته ساندوه، ولكن يبدو أنهم لم يعودوا قادرين على الاستمرار على التمرد على السلطة الفرنسية لظروف استجدت، حيث أعلنوا الطاعة للاموريسيير بعد أن سيطر الفرنسيون على زمالة الأمير عبد القادر بطاقّين. ولم يشفع لهم ذلك، فقد فرض عليهم هذا الجنرال – هم والأحرار – ضريبة ثقيلة. ثم قرر أولاد خليف الثورة تحت لواء بومعزة ونزحوا نحو الجنوب مع الآغا الذي كانوا تحت مسؤوليته ليطلبوا الأمان بعد ذلك من الفرنسيين" [9].

وواضح أن الظروف التى كان يعيشها أولاد خليف خلال سنوات الاستعمار الأولى كانت ملائمة جدا قبل أن تتغير بسبب السياسة الفرنسية في الجزائر، وهذا ما أشار إليه Victor Bérard عام 1858 متحدثا عن أولاد خليف: "أولاد خليف الذين يقطنون شرق الدائرة (وهو يقصد دائرة تيارت Cercle de

Tiaret) قبائل أضحت متشردة منذ فترة قصيرة، وكانوا قد أنشأوا في واد سوسلم سدودا لسقى مزروعاتهم، وعلى الطريق المؤدية إلى جبل العمور حفروا ثلاث مجموعات من الآبار. لقد صاروا يعيشون في ظلال يحافظون عليها بعناية"[10].

ويبدو من التقرير التالي أن هذا الزحف الفرنسي المصحوب بالوحشية التامة قد أثر على سكان جنوب تيارت عموما حتى أجبروا على طلب الأمان، فقد جاء في جريدة L'Impartial Dauphinois يوم 26 جوان 1864: [نقرأ في جريدة Le Moniteur: يعطي آخرُ الأخبار القادمة من الجزائر تفصيلات حول النتائج المحققة من قبل الجنرال Deligny جنوب مقاطعة وهران ، فقد قرر يوم 9 جوان الذهاب إلى الأبيض سيدي الشيخ آملا السيطرة على التمرد في مهده ... وطلب أولاد سيدي الناصر وأولاد سيدي منصور الأمان]

العملية:

كتبت جريدة Journal de la Savoie في عددها الصادر يوم 14 سبتمبر 1864 متحدثة عن النتائج "الطيبة" التي حققها الجنرال مارتينو والكولونيل بيشو مستندة في ذلك إلى الأخبار التي نقلها Le Moniteur Algérien بتاريخ 08/ 9/ 1864: [أرسل حاكم مقاطعة وهران معلنا عبر برقية وصلت إلى معسكر يوم 06 سبتمبر أن الحركة المشتركة التي قادها الجنرال مارتينو والكونيل بيشو في الناظور آتت نتائجها المنتظرة.

لقد تم التمكن من أولاد سيدي منصور - مرابطي أولاد خليف - الذين استقدموا عناصر عدوة من التل، قسم من الأحرار، وأغلبية المتمردين في دائرة عمي موسى- حتى صارت حيواناتهم وخيامهم و400 من نسائهم بين يدي الجيش، وتم القضاء على 500 مسلح كانوا قد لجأوا إلى الجهات الجبلية الوعرة، وذلك بعد أن حاصرتهم قواتنا.

لم تكن خسائرنا ذات دلالة وذلك بفعل الإجراءات المتخذة استعدادا للعملية رغم المسافة والصعوبات المختلفة، حيث انحصرت في 03 قتلى؛ رامٍ وفارسين من الحشم، و03 جرحى؛ 01 من الزواف وفارسين من زدامة]

ويبدو أن كلمة succomber التي استخدمت في الخبر الذي نقلته الصحيفة متحدثة عن المقاومين الخمسمائة للدلالة على مصيرهم قد أشكلت على الباحثين حيث احتملت معنيين؛ الأول يفيد التراجع والاستسلام والثانى يفيد الموت، غير أن Fabre قد أزال هذا الإشكال عام 1902م حين وصف النساء والأطفال بالناجين "وفي أوت 1864 تم تطويق أولاد سيدي منصور بإحدى قمم جبل الناظور من قبل القوات المشتركة لبيشو ومارتينو، وقد قاوموا لكنّ جميع محاربيهم قتلوا بينما أخِذ الأطفال والنساء (**وهم وحدهم الذين ظلوا أحياء**) أسرى إلى تيارت وغنم الفرنسيون جميع مواشيهم"[11].

وما يمكن فهمه من حديث فابر هو أن القبيلة تعرضت للحصار منذ شهر أوت واستعصى على الفرنسيين القضاء عليها حتى بداية شهر سبتمبر وهذا بناء على تاريخ المجزرة الذي ذكره ترومللي وهو يوم 06 سبتمبر 1864 [12].

وجريدة Le Moniteur Algérien بتاريخ 08/ 9/ 1864.ولم تألُ فرنسا جهدا للقضاء على هذه القبيلة المقاوِمة بل لم تستثنِ وسيلة من وسائل القمع لإخضاع الثوار، فقد "بدأ الهجوم المباشر حيث بُقِرتْ حوامل النساء فكانت تُقتَل المرأة الحامل وجنينها أبشع قتلة، وتُرمى الأخرى من أعلى سفح الجبل العالي، كما كانت بعض النساء يرمين بأنفسهن من أعلى الجبل حفاظا على شرفهن"[13].

وفي ذات الإطار يشد انتباهَ الباحث ما ذكرته جريدة Journal de L'Ain في عددها الصادر يوم 12 سبتمبر 1864 بخصوص العملية مشيرة إلى وحشيتها: " 500 مقاتل حوصروا في الجبل وقُطِعوا أشلاء" (Cinq cents combattants ont été entourés dans la montagne et taillés en pièces)

لماذا المجزرة ضد أولاد سيدي منصور؟ يجيبنا Trumelet بأن قبائل جنوب تيارت العاصية والتي تركزت جنوب جبل الناظور تجمعت حول 03 عيون هامة هي عين الوسخ، عين القطيفة وعين الرقاي، لذلك قررت السلطات الفرنسية ضم قوات الجنرال مارتينو والكولونيل بيشو ضمن عملية كبيرة يساندهما الجنرال Liebert. وكان الهدف هو طرد هذه القبائل من الجهات المذكورة وحرمانها من الماء إجبارا لها على الخضوع، وهذه المسألة في أساسية للدلالة على أهمية الماء في الاستراتيجية الاستعمارية الفرنسية [14].

أما Fabre فيعطينا تبريرا أدق لما قامت به فرنسا موضحا أن المجزرة كانت انتقاما من أولاد سيدي منصور لارتباطهم الواضح بالمقاومة:

"وفي 1864 صار أولاد خليف يقاتلون في صفوف الفرنسيين حيث قاوموا ثورة أولاد سيدي الشيخ والأحرار باستثناء فرقة واحدة وهي أولاد سيدي منصور التي ساندت الثورة. ذلك أنها هاجمت مركز غصني (Krosni) وقتلت فارسَيْن وأخذت حصانا. وأولاد سيدي منصور هم الذين عملوا بطرق خفية على إنجاح الغارة التي شنها سي محمد بن حمزة على الآغا الدين بطاقين [15].

وتدعيما لهذا نشير إلى أن الذاكرة الشعبية قد حفظت لأولاد سيدي منصور مشاركتهم في معركتين قبل التي نعالج بالدراسة أحدائها، وهما معركة مركونة بضواحي عين دزاريت غير بعيد عن واد سوسلم، وكمين منطقة بولوعال ما بين الفايجة وسي عبد الغني على خط واد سوسلم دائما [16].

ثم هل أجرم أولاد سيدي منصور حتى تُرتكب ضدهم هذه المجزرة الرهيبة؟ حتما لا، لكن لنقرأ ما كتبه Alexandre Duvernois وهو يجيبنا في كتابٍ له طُبع عام 1865 بطرح فرضيتين اثنتين، مكتفيا بذكر الثانية دون كثير من التعليق رغم أنه كان معاصرا للمجزرة وكان حتما يملك من المعطيات الكثير، غير أنه اكتفى بالتلميح حتى لا يُحرج كثيرا من القيادات العسكرية الفرنسية الضالعة آنذاك في هذه المجزرة الرهيبة.

الفرضية الأولى: "أن يكون المقاتلون الخمسمائة – الذين لم يكن واجبا عليهم الدفاع فقط عن أنفسهم ولكن عن أبنائهم وعن ممتلكاتهم- مسلحين بشكل جيد وقد لجأوا إلى المناطق الأكثر وعورة في الجبال وماتوا وأسلحتهم في أيديهم، وهنا يجب الاستخلاص بأن (العرب) مقاتلون أشداء".

الثانية: "أن يكون الجنرال مارتينو والكولونيل بيشو قد حَضَرَا ببساطة شيئا يشبه المجزرة بشكل كبير" (17).

بعد العملية:

رغم أن مقاومة قبائل جهة تيارت لم تتوقف باعتبارها اندرجت ضمن مقاومة أولاد سيدي الشيخ فإن الصحافة الفرنسية حاولت شن حرب نفسية على الجزائريين حين ادعت أن تحركات الجنرالات صارت تؤتي أكلها حتى أن الإدارة الفرنسية لم تعد بحاجة إلى بعث مزيد من القوات، وهو ما سنلحظه من خلال بعض التقارير التي سندرجها لاحقا والتي تصور المنطقة هادئة حتى يُخيل إلى القارئ أن المقاومة أخمِدت نهائيا، وهو ما يجانب الحقيقة، فمقاومة أولاد سيدي الشيخ مثلا استمرت بعد ذلك زمنا طويلا.

ولسنا – رغم كل هذا – ننكر تأثير هذه الجريمة التي ارتكبتها فرنسا على معنويات الجزائريين، فإذا كان كثير منهم قد تحملوا وظلوا في أراضيهم فإن بعضهم صار ينتقل من جهة إلى أخرى خصوصا أولئك الذين صممت القوات الفرنسية على ملاحقتهم كبعض الدواوير من الأحرار. وسنتتبع ما ذكرته الصحافة الفرنسية عن تنقلات القوات الاستعمارية جنوب تيارت وما حققته خصوصا وفود القبائل عليها لطلب الأمان:

1- أشارت جريدة L'Impartial Dauphinois يوم 14 أكتوبر 1864 ضمن مجموعة عناوين متعلقة بالرسومات إلى رتل تحت قيادة الكولونيل Pechot قام بعملية ضد أولاد سيدي منصور.

2. وفي العدد الصادر يوم 20 أكتوبر 1864 كتبت جريدة Courrier de la Drôme et de l'Ardèche في الصفحة الثانية نقلا عن Le Moniteur de l'Algérie الصادر يوم 13 أكتوبر أن الجنرال Jolivet الذي يلاحق سي الأعلى تمكن من هزيمته جنوب الضاية يوم 11 أكتوبر وتم طرده من جميع النقاط التي كانت تحت سيطرته، كما تمت ملاحقته على مسافة 03 مراحل ... التحقت به قبائل كثيرة فصارت قواته 3000 بين المشاة والفرسان، أما خسائره فكانت 200 بين قتيل وجريح، بينما "خسائرنا" قتيل واحد و07 جرحى، وقد فتح الجنرال Jolivet واد مكرة. أما الجنرال Deligny فكان يوم 10 أكتوبر قرب جيريفيل (البيّض) حيث قدِم عليه قسم من مرابطي الأحرار لطلب الأمان.

3. في 19 نوفمبر 1864 كتبت جريدة Courrier de Alpes: [نشرت جرائد مدينة الجزائر بتاريخ 11 نوفمبر خبرا رسميا هذا نصه: "لقد كتب الجنرال ديلينيي Deligny من الخيثر يوم 06 نوفمبر أن قبائل مختلفة قدّمت له طلب الأمان. حتى هذا التاريخ كان قد أعاد تثبيت أولاد سيدي خليفة على أراضيهم، بينما كان بنو مطهر قد تحركوا للعودة، وكان 30 من أمهر فرسانهم في معسكر الجنرال حيث كان مقررا وصول الأنقاد الذين أعلنوا الخضوع.

وقد كتب الآغا الدين إلى الجنرال Deligny أنه بانتظاره لإعادة تنظيم جبل العمور، وأعلن هناك أن أولاد يعقوب الغرابة طلبوا الأمان...

وجاءت برقية من بوغار بتاريخ 07 نوفمبر معلنة أن 1600 خيمة تابعة لقبائل هذه الدائرة سُمح لها بالعودة إلى أراضيها، وهي من الرحامنة الغرابة والشراقة، المويدات الشراقة وبني عايش الذين كانوا حتى هذا اليوم مع المتمردين. كما عادت أيضا 20 خيمة من أولاد خليف التابعين لدائرة تيارت مع سكان دائرة بوغار].

4. في 24 نوفمبر 1864 تحدث Courrier de la Drôme et de l'Ardèche في الصفحة الأولى عن أخبار المنطقة الغربية التي اضطر كثير من قبائلها إلى طلب

الأمان، فقد علم الجنرال مارتينو الذي وصل يوم 11 نوفمبر إلى عين ماضي قادما إليها من بريزينة أن الأحرار يسيرون نحو تاجرومة بهدف طلب الأمان.

"إن جميع القبائل التي تعلن الآن خضوعها تعيش في بؤس بسبب تنقلاتها المستمرة التي تقوم بها هروبا من قواتنا".

ثم تحدثت الجريدة عن نقل الفرنسيين لمؤونة كبيرة من الخيثر يوم 06 نوفمبر تحت قيادة الجنرال Deligny نحو عين ماضي لدعم الجيش هناك، ليختم الحديث بما يلي: "إن عملياتنا – باختصار – مستمرة في الجنوب بنجاح، فالمعنويات مرتفعة والوضع في التل لا يدعو من الآن إلى القلق"

5. كما كتبت جريدة Courrier de la Drôme et de l'Ardèche يوم 18 فيفري 1865 على صفحتها الأولى: [تلقت وزارة الحربية من حاكم الجزائر العام يوم 11 فيفري معلومات مفصلة: في الرابع من نفس الشهر تواجد الجنرال Deligny بـ "غارة سيدي" (هكذا) على بعد 08 مراحل غرب الواد الغربي أين لقي المتمردين بقيادة سي محمد ابن حمزة. وكان مع الجنرال 700 فارس من "القوم" و03 سرايا من الفرسان (النظاميين).

ونظرا لأنه كان على يقين من الأهمية السياسية التي سيحدثها هذا النصر لو تحقق على يد "القوم" وحدهم أقحمهم واحتفظ بقواته النظامية...

لقد جددت وفاة المرابط (18) طاقة المقاومة لدى العرب ولكنهم أجبروا تحت ضغط "القوم" على ترك أراضيهم التي فيها خيامهم المبنية ومتاعهم وحيواناتهم. كانت الغنيمة هائلة، وقد قدِمتْ على الجنرال عند عودته أعداد هائلة من الدواوير التي أعادها إلى أراضيها بينما ظلت دواوير أخرى هاربة.

كانت الخسائر من سلاح "القوم" 50 قتيلا و17 جريحا أما خسائر العدو (يقصد الجزائريين) فكانت أكثر بكثير، وقد سُرّ الجنرال Deligny كثيرا بسلاح "القوم" الذي كان يشرف عليه الرائد Dastugues مدير الشؤون العربية بمقاطعة وهران، والنقيب Pan Lacroix رئيس المكتب العربي بوهران].

6. وفي 10 نوفمبر 1865 جاء في Journal de l'Ain أن الفِرق العسكرية التي يقودها كل من الجنرال Lacretelle، الجنرال Martineau- Dechenetz والعقيدان Pechot وColomb بحالة جيدة ولن يتم إرسال قوات إضافية إلى الجزائر.

7. ويعزز هذا الخبرَ ما نشرته جريدة Courrier des Alpes في صفحتها الأولى يوم 14 نوفمبر 1865: [يقولون في La Patrie إن أخبار "جيش إفريقيا" الذي يقوده الجنرال Lacretelle والجنرال Martineau – Deschenetz والعقيدان Pechot و Colomb جيدة ولا حاجة إلى بعث تعزيزات إلى الجزائر]

ولعل الباحث يجد نفسه أمام مسألة تقتضي التساؤل عن مدى تميز هذه الكتابات الفرنسية بالموضوعية، حيث إن خبر المجزرة التي تعرض لها أولاد سيدي منصور في 06 سبتمبر 1864 ذكره أول مرة Le Moniteur Algérien في عدده الصادر يوم 08/ 09/ 1864 ثم تناقلته جرائد أخرى بعد أيام من ذلك، ليعمد الكتّاب إلى تكراره بألفاظه أو بمعناه مع الإشارة أحيانا إلى مصدره ودون الإشارة إليه أحيانا أخرى، دون إعطاء مزيد من التفاصيل ودون تقديم شهادات معاصرة كان الحصول عليها آنذاك ممكنا للغاية، ومن ذلك مثلا:

- Duvernois, Alexandre. Le Régime civil en Algérie, urgence et possibilité de son application immédiate, précédé d'une lettre à MM. les membres du Corps législatif, défenseurs des intérêts algériens, Paris, J. ROUVIER, 1865, p 41
- Trumelet, Histoire de l'insurrection des Oulad-Sidi-Ech-Chikh (sud-algérien) de 1864 à 1880, Alger, Adolphe Jourdan, Imprimeur, Libraire, 1884, p 55

- Fabre, «Monographie de la commune mixte indigène de Tiaret-Aflou», Société de Géographie et d'Archéologie de la province d'Oran, 1902, T 22, p 290.
- Journal de la Savoie, date du 14/09/1864, p 01.
- El Contemporaneo, date du 18/09/1864, p 03.

ثم إن الدارس لتاريخ الجزائر خلال الفترة الاستعمارية يدرك لا محالة أن الفرنسيين كتبوا في كل شيء، واهتموا بمسائل تبدو – على أهميتها البالغة – "تافهة" إذا ما قورنت بدماء الجزائريين، فقد ألّفوا حول العادات والتقاليد ودرسوا الشعر الشعبي وحققوا بعض المخطوطات وكتبوا عن جهات الوطن المختلفة وساهموا في بيان أهميتها الاقتصادية، فكيف يهملون الحديث عن مجزرة كهذه؟ إن النظر في هذه المسألة يجعلنا نفترض وجود نية مبيتة لتوجيه كتابات القرن التاسع عشر بعيدا عن جرائم فرنسا. والهدف من هذا كله هو عدم تعطيل المشروع الاستعماري الفرنسي.

وإذا كنا قد أشرنا إلى حقيقة مفادها أن بعض الجزائريين تركوا أراضيهم خوفا من القوات الفرنسية، وآخرين طلبوا الأمان، وأن مجموعات أخرى انضمت إلى القوات الاستعمارية بفعل الضغوط المستمرة فإن علينا تأكيد حقيقة الاستمرارية، ذلك أن المقاومة لم تتوقف سواء في ذات الشهر الذي ارتكبت فيه مجزرة أولاد سيدي منصور أو بعده.

"فقد هاجم الثوار [19] قوات لييبر في (بئر أوقلت الزعفران) يوم 09 سبتمبر 1864، ثم انسحب سي محمد ولد حمزة إلى آفلو، وانسحب آخرون إلى جهات أخرى، وتقدم سي الأعلى وابن عمه سي محمد على الشط الشرقي، وإلى أولاد النايل ونشطا في كتابة الرسائل وإرسال مبعوثين إلى الجهات المختلفة للدعاية لصالح حركتهما ولتجنيد المزيد من الرجال المسلحين وجمع المؤن والذخائر،

وتمكن أنصارهما من احتلال صفيد وعين البيضاء شمال الخيثر قرب الشط الشرقي، والتحق سي الأعلى بهم يوم 29 سبتمبر"[20].

وإذا كنا قد عملنا على جمع بعض المعطيات حول مجزرة أولاد سيدي منصور في كاف السكومة فإن البحث لم يصل بعدُ إلى إجلاء حقيقة ما جرى وملابساته، بسبب شح المادة المتعلقة بالمجزرة، وهو ما يستوجب البحث مجددا سواء في الوثائق الفرنسية أو في التراث المحلي بغية الوصول إلى معطيات جديدة توضح أبعادها وتبين علاقة أولاد سيدي منصور بمقاومة أولاد سيدي الشيخ ودورهم الحقيقي فيها.

❖ **هوامش البحث**

(1) شارك في بسط نفوذ فرنسا في الهضاب العليا الغربية وهوامش الصحراء، وخلدت الصحافة الفرنسية المكتوبة آنذاك ذكره من خلال رصد تحركاته على رأس القوات الفرنسية.

(2) كان بيشو واحدا من أربعة ضباط شاركوا الكولونيل Canrobert هجومه على الزعاطشة، اثنان قتلا للتو، بينما أصيب Pechot وBesson إصابات بليغة جدا، وبيشو خريج المدرسة متعددة التقنيات، وقد تخصص في سلاح الهندسة، وحين قدم إلى الجزائر صارت له مكانة في مصلحة شؤون الأهالي حتى أصبح مسؤولا عن المكتب العربي بمدينة الجزائر، يقابله الكاتب Barail في ذات المسؤولية على مستوى البليدة، ولهذا صار كل منهما يعرف الآخر جيدا حتى أنه يصف بيشو بالعالم المتمكن والفارس الشجاع الذي بكته عيون جميلة حين مات.

Barail, (François-Charles Du), Mes souvenirs, T 03 (1864-1879), Paris, Librairie Plon, 1898, pp 273-274

(3) العقيد بوبراتر Beauprêtre القائد الأعلى لمنطقة تيارت قتله أولاد سيدي الشيخ بقيادة سي سليمان هو وجنوده في معركة عوينة بوبكر على بعد 20 كلم شرق البيض يوم 08/ 04/ 1864 وقد صار مشهورا بسبب شدة وحشيته. وقبل التحاقه بالجيش الفرنسي كان يشتغل بصقل الحجارة بالدويرة. وقد كان معه بعض من الأحرار غير أنهم انضموا إلى سي سليمان قبل أن يهجم على الجيش الفرنسي وهو ما ساهم في هزيمة بوبراتر ومن معه. يراجع:

يحيى بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، الجزائر: دار البصائر للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، 2009، ص 183

Idir Azwaw, Chronologie de la Kabylie, 2013, p107.

Hérisson (le Conte d'), La chasse à l'homme, Paris, 1891, p 349.

Narcisse Faucon, Livre d'Or de l'Algérie, Paris, 1889, p 56 et suite

(4) فرع من سعيد عتبة جاؤوا من إفريقية في حدود 1050هـ، اسمهم مشتق من كلمة خادم وهم من الموالين لأولاد سيدي الشيخ، عرفوا بفرسانهم ذوي البأس الشديد وتميزوا بالترحال الدائم بهدف الرعي، حيث يقطنون بواحات ورقلة فصلي الصيف والخريف وبعد جني التمور يتوزعون حول آبار الجنوب الغربي لورقلة، بينما يقضي بعضهم الصيف كله بسهول السرسو، كما يقصد آخرون واد زرقون وواد سرور حيث يلتقون بقبائل البيض كبني ثور وأولاد أحمد ابن حسان. يراجع:

فاطمة حباش، سي الأعلى بن بوبكر القائد العسكري لثورة أولاد سيدي الشيخ (1820-1896)، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2004-2005، ص 29

(5) عرب استوطنوا متليلي ثم توزعوا في جهات ورقلة، من أهم عشائرهم: شعانبة هب الريح في جنوب ورقلة' شعانبة بوروبة أو شعانبة شفة استقروا بورقلة، شعانبة متليلي (البرازقة) واستقروا غرب ورقلة، وشعانبة القبالة الذين استقروا بالمنيعة، إضافة إلى عشائر أخرى نزحت باتجاه العين الصفراء، بشار وتندوف في الجهة الغربية. يراجع:

فاطمة حباش، مرجع سابق، ص 32.

(6) الأحرار: مجموعة قبائل تعيش جنوب تيارت، وتنقسم إلى قسمين:

الأحرار الشراقة، وهم أولاد الزواي، أولاد بوعفيف، الكعابرة، الشاوية، أولاد عزيز، أولاد بلحصين. وكان عددهم 12000 في أربعينيات ق 19م.

الأحرار الغرابة وهم أولاد زيان الشراقة، أولاد زيان الغرابة، أولاد حدو، الدهالسة، الغوادي. وقد قدّر كاريت عددهم في أربعينيات ق 19م بـ 14800 نسمة. يراجع كل من:

Fabre, «Monographie de la commune mixte indigène de Tiaret-Aflou», Société de Géographie et d'Archéologie de la province d'Oran, 1902, T 22, p 262

Carette (E), Origines et migrations des principales tribus de l'Algérie, Paris, Imprimerie Impériale, sans date, p 476.

(7) Trumelet, Histoire de l'insurrection des Oulad-Sidi-Ech-Chikh (sud-algérien) de 1864 à 1880, Alger, Adolphe Jourdan, Imprimeur, Libraire, 1884, p 05.

(8) كان أولاد سيدي منصور يعيشون ضمن 08 دواوير حسب بعض المعطيات التي جمعها الفرنسيون سنة 1843. يراجع:

Renseignements historiques sur la zmala d'Abdel-Kader, tombée au pouvoir de S. A. R. Mgr le duc d'Aumale dans la ghazia exécutée le 16 mai à Taguine. 1843, p 08.

(9) Fabre, Op.cit, pp 289-290

(10) Indicateur général de l'Algérie ou Description géographique, statistique et historique de toutes les localités dans ses trois provinces, Paris, Challamel, 1858, p 592 .

(11) Les femmes et les enfants, **seuls survivants**, sont amenés prisonniers à Tiaret Fabre, Op.cit, p 290

(12) Trumelet, Histoire de l'insurrection des Oulad … Op.cit, p 56
Trumelet, Notes pour servir à l'histoire de l'insurrection dans le sud de la Province d'Alger, R.A, № 24, 1880, p 10 .

(13) علي كبريت، مقاومة أولاد سيدي منصور في جبل الناظور وإبادة جبل السكومة جنوب تيارت 1864، وهران: دار القدس العربي، ط 1، 2014، ص ص 79 – 80.

(14) Trumelet, Histoire de l'insurrection des Oulad … Op.cit, p 55

(15) Fabre, Op.cit, pp 290 -289

(16) علي كبريت، المرجع السابق، ص ص 107 - 108

(17) Duvernois, Alexandre. Le Régime civil en Algérie, urgence et possibilité de son application immédiate, précédé d'une lettre à MM. les membres du Corps législatif, défenseurs des intérêts algériens, Paris, 1865, p 42 وهذا نص الفقرة نورده لأهميته

« Ou bien les 500 combattants qui avaient à défendre non-seulement leur propre vie, mais encore celle de leurs femmes et de leurs enfants, et leur fortune, étaient bien réellement armés et réfugiés dans les parties difficiles de la montagne, sont morts les armes à la main, et alors il faut en conclure que les Arabes sont des adversaires bien peu redoutables, ou bien le général Martineau et le colonel Péchot ont tout simplement assisté à quelque chose qui ressemble fort à une boucherie».

(18) للتعرف على ظروف مقتل محمد بن حمزة يراجع:
Trumelet, Histoire de l'insurrection des Oulad …Op.cit, p 195

(19) يقصد ثوار أولاد سيدي الشيخ

(20) يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص 190. وجدير بالذكر أن الأستاذ بوعزيز لم يأتِ على ذكر مجزرة أولاد سيدي منصور.